



ملخص:

أعلن حزب الله، بعد تحفظه على الثورات العربية، عن مشاركته العسكرية في الحرب السورية إلى جانب الرئيس بشار الأسد تزامناً مع حصاره لبلدة القصير السورية المحاذية للحدود اللبنانية في مايو/أيار 2013، وتعرّض من حينها إلى اليوم لخسائر في الأرواح تربو على الألف بحسب أكثر الأعداد تحفظاً، وحقّ، بحسب إعلامه، إنجازات في مواجهة من يسمّيه "بالتكفيريين" في عدة مناطق بسوريا، إلا أنه خسر موقعه كأحد حركات المقاومة وطنياً وعربياً ويغرق باطّراد في حرب مذهبية ضدّ الأكثريّة في الإقليم، ويبدو أن مساره هذا سيقوده إلى إعادة تعريف "الطائفنة الشيعية" على أنها أقلية لبنانية مذهبية وليس جزءاً من الأكثريّة المسلمة، كما انتهى إليه "اتفاق الطائف" الذي جعل السلطة مناصفة بين المسلمين (سنّة وشيعة) والمسيحيين.

إن حزب الله هو أحد أهم الفاعلين غير الرسميين في الحرب السورية، وهو جزء من المشكلة لاسيما عند الحديث عن المقاتلين الأجانب أو عن التدخل الإيراني في المنطقة، وأي حديث عن الحل أو عن سبيل تحقيق الاستقرار فيها أصبح يعتمد في بعضه على تراجع الحزب عن هذا المسار، إما طوعاً أو كرهاً.

ومن جهة أخرى، لا يمكن تجاهل أن حزب الله كان يُعد حزباً "مقاوماً" من قبل شريحة عربية واسعة وحظي بدعمها، لأنّه خاض حروباً عدّة ضد إسرائيل وكان برنامجه الأساسي يقوم على "مقاومة المحتل والتّوافق الداخلي" كأولوية قصوى وفق ما كان يعلن ويؤكّد، ما يشي بأن تدخله في الحرب السورية جاء في لحظة مبكرة لتقدّم فيه الأولوية الإقليمية أي مصالح المحور الإيراني على ما سواها. وهذا لا ينفي أن هناك تطورات أخرى استدعت من المحور الذي يتبع له الحزب، اتخاذ إجراءات إقليمية للحفاظ على مصالح سياسية بعضها - صغير أو كبير - يتصل بالشأن اللبناني أو يمس بمسؤولية الحزب عن "طائفته الشيعية"، وبالتالي تستحق (بحسب رؤية الحزب ومحوره) أن يبذل لها في سوريا ما بذل حتى اللحظة.

إن هذا التشابك في أدوار الحزب والرهانات عليه تقود تلقائياً إلى الحديث عن المكاسب أو الخسائر التي يحصدّها، وعن التحوّلات التي قد يتعرّض لها جراء هذا المسار، والتي ستترك بدورها آثاراً عميقاً على دور الحزب وعلى مكانته مستقبلاً، سواء في بيئته المحلية اللبنانية، أو في البيئة الإقليمية والعربية الأوسع.

وإذا كان هذا التقرير يتناول هذه العناوين الأساسية الثلاثة المتصلة بحزب الله، المكاسب والخسائر والتحولات، فإنه ينبغي بداية التأكيد على أن موقف الحزب من الصراع السوري لم يأت منفصلاً أو بعيداً عن موقفه من الثورات العربية، بل كان ذلك الموقف نقطة البداية التي مهدت لانخراطه العسكري هناك وبسرعة قياسية نسبياً، وبالتزامن مع إعادة هيكلة واسعة لخطابه الديني ولتوجهاته السياسية.

حزب الله والثورات العربية:

التزم حزب الله عام 2011 بمراقبة الثورات العربية وتقييمها واحتفظ بمسافة تفصله عنها، ولم تخرج مواقفه تجاهها عن الخيارات التقليدية التي يعتمدها، ثم قرر مع تطور الأحداث أن شعاراتها وأهدافها المطلبية يمكن تفهمها لكنها ليست هي المحك والغاية النهائية التي يجب اعتبارها، بحسب تقديره للموقف من "الثورة"؛ إذ يميز بين الثورات ومساراتها على مستويين:

الأول: ويعتمد فيه التمييز بين الدول التي شهدت "حراكاً ثورياً" أو ما تُسمى دول "الربيع العربي": فهناك دول تابعة لأميركا، وهي "النظام" المصري والتونسي واليمني والبحريني إضافة إلى الليبي "في آخر أيامه" بحسب وصف أمين حزب الله حسن نصر الله، وهناك أخرى وهي "النظام السوري" حصراً الذي يتتمي لمحور المقاومة، وأنه الوحيد من بينها الذي يصح "وصفه بأنه غير خاضع للنظام الأميركي"، وهو من دول الطوق "المواجهة بإسرائيل"، والمستهدف من هذه الأخيرة لتحالفه مع إيران رأس "محور الممانعة"(1).

أما على المستوى الثاني، فاعتمد التمييز بين مراحل الثورة، ورأى أن ما يجري في العالم العربي هو "حراك وطني حقيقي في كل بلد" ويعبر عن إرادة "شعبية وطنية ولم يكن مشروعًا أميركيًا"، ولكنَّ أميركا "ركبت الموجة، وأظهرت دعمها لمطالب الناس تمهيداً لحرف الثورة عن مسارها الطبيعي"، وكذلك بهدف تحسين صورتها وتخفيف خسائرها هناك، ولذلك يكون لها يد وشراكة في صياغة تلك الأنظمة على الأقل إذا لم تكون لها بالكامل(2).

اخالف حزب الله في المستوى الأول مع شريحة كبيرة من "جمهور المقاومة" عربياً، أي الجمهور المؤيد والداعم لمقاومة إسرائيل، فغالب هذا الجمهور لم يفرق بين أي من دول الربيع العربي وأنظمتها، بل أخذ تعاطفه وتأييده للثورة السورية على وجه الخصوص يتعاظم ويشتد كلما ازداد القمع والقتل(3). في حين اكتفت إيران من حليفها السوري الرئيس بشار الأسد بإصلاحات شكلية أو محدودة، ارتكزت عليهاإعلامياً وسياسياً للقول بأن تحقيق التغيير جارٍ تحت سقف النظام، حتى إن أمين عام حزب الله، حسن نصر الله، اعتبر في مقارنة "أذكت التحليل الطائفي" أن ما يجري في البحرين من قبل النظام هو أشد مما يجري في سوريا(4).

أما بالنسبة للمستوى الثاني من التحليل، فحزب الله لم يختلف مع عموم "جمهور المقاومة"، بل إن هذا التحذير من الدور الأميركي صدر عن ناشطين في الثورة ومثقفين مؤيدین لها، حتى إن تنظيم القاعدة نفسه حذر في وقت مبكر بعد اندلاع الثورات من "الاتفاق الأميركي" عليها، ويمكن القول: إنه كان تحليلاً شائعاً حينها(5)؛ فحزب الله بهذا المعنى هو مستهلk لهذا التحليل أو اعتمدته ثم أعاد توجيهه وقرر أن "حرف الثورة عن مسارها الطبيعي" ليس بالحؤول دون تحقيق مطالب "الثورة" في التغيير فقط، بل أيضاً في وصولها إلى "النظام السوري".

وأقرَّ حزب الله بأن "الشعوب متعاطفة ومتضامنة"(6) مع "الثورة" إلا أن هذا لا يمنع أنها، أي الثورات، جاءت في سياق مشروع "التقسيم الأميركي- الإسرائيلي" للمنطقة، وبحسب تعبير نصر الله هو "الشرق الأوسط الجديد الذي دمرنا طلائعه في حرب يوليوكوتوموز 2006، ودمَّر إخواننا في غزة طلائعه في حرب 2008 لكنه يعود بثياب جديدة وعناوين جديدة"(7).

آخراته في سوريا:

لم يتأخر حزب الله عسكرياً في الانخراط في الحرب السورية لكن إعلانه عن ذلك جاء متدرجاً، كما أن مبررات تدخله العسكري وحجمه جاءت كذلك، بدأها تحت عنوان "حماية القرى اللبنانية" الحدوية مع سوريا، ثم حماية "المقامتات المقدسة" لدى الشيعة، انتهاء بالإعلان الواضح في معركة القصير (19 مايو/أيار 2013) عن الانحياز الكامل للنظام السوري. لكنه أرفق ذلك أو ربما سبقه، بتحذير الشعب السوري من الوقع في فخ "إسقاط النظام السوري المماني" والتأكد على ضرورة حماية "منجزات المقاومة" هناك، وأطلق الحزب ما يشبه حملة إعلامية و"فكيرية" كثُر فيها ظهور أمين عام حزب الله على الجمهور ليؤكد أن المحور الإيراني لديه رؤية واضحة وثقة كاملة ويدرك ما يفعله في المنطقة وسوريا(8).

وبالنظر إلى تعزيز نفوذه وانتشاره شديد بعد العام 2011 في الساحة اللبنانية، يمكن القول: إن حزب الله قد عمل منذ بداية الثورة السورية على التهيئة والاستعداد لاحتمال التدخل العسكري في سوريا؛ فقد سهل تشكيل حكومة نجيب ميقاتي (16 يونيو/حزيران 2011)، وهي الحكومة التي اتهمت من قبل خصومها بهيمنة الحزب عليها ليعُكِّم قبضته على أجهزة السلطة اللبنانية خاصة تلك المعنية بالحدود مع سوريا، والمفارقة أن رئيسها ميقاتي استقال بسبب استفال خلافاته مع الحزب، في مارس/آذار 2013، ليعلن الحزب، في مايو/أيار 2013، عن أول هجوم عسكري عبر الحدود اللبنانية واحتلال بلدة القصير السورية المحاذية(9). واستفاد حزب الله بالتوازي من شغور منصب الرئاسة اللبنانية (انتهت ولاية الرئيس ميشال سليمان، في 25 مايو/أيار 2014) ومن تحالفه مع التيار الوطني الحر الذي يتزعمه الجنرال ميشال عون ويحمل رئيسه جبران باسيل حقيبة وزارة الخارجية في الحكومة الحالية (حكومة رئيس الوزراء تمام سلام) ليمد نفوذه إلى عمق الدبلوماسية اللبنانية التي اصطدمت مؤخراً مع المملكة العربية السعودية(10).

ويغضّ النظر عن الأسباب التي تذرع بها حزب الله للتدخل في الشأن السوري، فقد بات جزءاً من تحالف كبير يضم سوريا وإيران والعراق ويعتمد دولياً على روسيا، ويخوض حرباً في سوريا ستترك تأثيرات كبيرة على بنية التنظيمية وموقعه الاستراتيجي في المنطقة ومنظومة الأخلاقية، وذلك تبعاً للمكاسب التي قد يجنيها من هذه الحرب أو الهزائم التي تحل به.

أهم مكاسب حزب الله:

إن تتبع خطاب حزب الله حول "المكاسب التي حققها" لن يعطي الصورة الحقيقة عن حجمها أو أهميتها الفعلية بالنسبة له، لأنّه لا يملك القدرة على حصد أي انتصار عسكري قد يتحقق له في الأراضي السورية بنفسه، فهو ببساطة حزب محلّي يقوم بدور إقليمي أكبر منه، ويحتاج إلى رعاية دولة فاعلة إقليمياً ليحقق أهدافه سواء المحلية أو الإقليمية، وبالطبع لن يكون لبنان هذه الدولة حتى ولو امتلكها الحزب، لأنّها تكاد تكون دولة فاشلة غير قادرة على إدارة شؤونها. الواقع أن حزب الله بالمعنى الاستراتيجي ينتمي إلى المحور الإيراني، لهذا يصح القول بأنه مدفوع إلى هذه الحرب "بدوافع جيوسياسية ذات طابع طائفي"(11)، وفي هذا السياق بالذات فإن أهم مكاسب الحزب لابد أن تقام من خلال الأرباح التي يحققها المحور الذي ينتمي إليه.

وبهذا الاعتبار يمكن إيجاز أهمها في النقاط الآتية:

1. استمرار الوجود الإيراني الفاعل في سوريا، لا بل إن شرعيته الواقعية تتعمق في مواجهة ما يُطلق عليهم اسم "التكفيريين" و"الإرهابيين" ويقصد بذلك حتى اللحظة، وإلى حدّ ما، كلّ فصائل المعارضة السورية المناوئة لحكم بشار الأسد؛ وهذا يعني تمدد النفوذ الإيراني لتصبح طهران مجاورة للبنان، وظاهراً حقيقةً لحزب الله، باعتبار أن الخبراء والخبطة العسكرية الإيرانية بمتناول اليدي وبأعداد لا يمكن للبنان أن يتحملها، في حين يسمح الظرف السوري والإقليمي وبريما الدولي بمضايقتها ولو إلى

حين.

2. الاطمئنان إلى التواصل الجغرافي ولو بصعوبة، ما بين إيران ولبنان حيث دولة المركز لحزب الله، عبر العراق وسوريا، بعد خلق مساحات خالية من الديمغرافية السورية مع حدود لبنان خاصة تلك المحاذية لبيئته الطائفية، وهو ما يجعل الحزب واثقاً وأمناً في مواجهته لكل محاولات "الاستئصال أو الحدّ من النفوذ التي قد يتعرض لها". وستُبني على هذا الخط مصالح اقتصادية وثقافية ودينية وسياسية لصالح ازدهاره الأيديولوجي، وأهمها على الإطلاق أنها تضمن استمرار يده العليا لبنيانِ حزب مهمٍ ونافذ على كل الصعد وبدعم مطلق من طائفته.

3. تكريس دوره لبنيانِ كمدافع عن حدود لبنان سواء في مواجهة "إسرائيل" أو مع "الجماعات المسلحة" السورية، وبسبب مواجهته لهذه الأخيرة حظي دوره باعتراف دولي ضمني خاص من أميركا كأحد الأعمدة في مواجهة تمدد "الإرهاب" القائم من سوريا إلى لبنان.

وساعده على تحقيق ذلك مسألتان:

الأولى: الحرص الدولي على حماية لبنان من تداعيات الأزمة السورية، لأنها ترى فيه الملاذ الأخير للأقليات المسيحية وغير المسيحية في الشرق. لذا، قد تكون هذه الدول تغاضت عن التدخل العسكري لحزب الله في سوريا، ربما لعدم استطاعتتها منعه خاصة في البداية، لكن بالمقابل كانت حاسمة في عدم السماح لأي انعكاسات للأزمة السورية بالتأثير على الوضع اللبناني، خاصة في ما يتعلق بالشأن الأمني، وهو ما لا يزال قائماً حتى اللحظة(12).

أما الثانية، فهي ظهور "تنظيم الدولة الإسلامية" و"جبهة النصرة" في سوريا خاصة على الحدود مع لبنان، بوصفهما تنظيمين مصنَّفين متطرفين دولياً، فضلاً عمّا طال لبنان من تفجيرات قامت بها مجموعات سورية مناوئة للحزب(13)، ليصبح بالنسبة للقوى الدولية القبول بدور الحزب في حماية الحدود مع سوريا ولو مرغمين لا غنى عنه ما لم يتغير المشهد القائم راهناً.

4. قد يكون هناك مكاسب متوقعة لحزب الله وترتبط بالتسوية المقبلة في سوريا وهي الأهم، ومبنية على تجربة الخروج من الحرب الأهلية اللبنانية واتفاق الطائف، ومفادها أن احتفاظ الحزب بقوته العسكرية وتحقيق الاستقرار على الوجه الذي تريده الدول الكبرى كي يكون بمثابة عن "المنظمات المتطرفة (السننية)"، سيجعل لحزب الله نصيباً لصالحه من أي اتفاق قادم في سوريا فضلاً عمّا سيتأتى عنه من انعكاسات تعزّز من تجذره في السلطة اللبنانية. والجدير بالذكر أن الحزب على لسان نصر الله دعا أكثر من مرة لمؤتمر تأسيسي جديد ينسخ الطائف أو يصوّبه، حتى اتهمه خصومه بأنه يسعى إلى "المثالثة"(14) ليكون تقسيم السلطة: سُنة وشيعة وموسيقيين، بدلاً من "اتفاق الطائف" الذي جعلها مناصفة بين المسلمين والمسيحيين على الإجمال، وبهذا يكون قتاله في سوريا في حقيقته قتالاً من أجل تعزيز وجوده طائفياً، ووجود جمهوره ومحوره وحلفائه في دولة لبنان سياسياً.

أهم خسائر الحزب:

إذا كان حساب الأرباح لا يمكن قياسه إلا باستدعاء المحور الذي ينتمي إليه حزب الله، فإن حساب الخسائر يكاد لا يخفى سواء في بنية حزب الله أو في قيمه وما يمكن أن ينتج عن تدخله في الشأن السوري.

1. إن عدد مقاتلي حزب الله بالجملة، خاصة أولئك الذين يعتمد عليهم، يُحصى بالآلاف، وأي خسارة في هؤلاء هي خسارة كبيرة، خاصة وأن الحرب السورية هي جبهة مفتوحة الأجل، وليس كذلك التي كانت تخاض ضد إسرائيل؛ حيث للمعارك

فيها بداية ونهاية، خاصةً منذ ما بعد تحرير جنوب لبنان عام 2000. وبالطبع بحسب أكثر الإحصاءات تحفظاً زاد عدد قتلى حزب الله في سوريا على الألف؛ هذا فضلاً عن الجرحى والمعوقين(15)، وكلما امتد الخط الزمني للحرب فإن مؤشر قدرة حزب الله على الاستمرار فيها يتراجع، لأن ما تتطلبه الحرب السورية من مقاتلين وحجم نيران يفوق أحياناً قدرات دول كبرى، فكيف بحزب محدود العدد كحزب الله! ولি�تفادى – ما استطاع – هذا المصير، يعتمد الحزب استراتيجية "النسبة والتناسب"(16)، وتقوم على اختيار أهم المناطق السورية بالنسبة للحزب والارتكاز فيها، لتحقيق أو حماية مصالح استراتيجية وبأعداد مناسبة للسيطرة عليها أو الثبات فيها وبخسائر يمكن احتمالها، إضافة إلى مشاركته بخبراء ونخب في القيادة والتوجيه لبعض المعارك التي يعتقد الحزب أنه يُحسنها.

2. إن أي إعادة قراءة لكل المكاسب التي قد تتحقق لحزب الله في سوريا توضح أنها لا تلتاء مع الكلفة التي يدفعها راهناً وتلك التي سيدفعها مستقبلاً، فحجم الأغلبية السورية التي يخوض حربه على أرضها لن تفني لا بالقتل ولا بالتهجير سواء كان يستهدف ذلك أم أن هذا ما أصابها نتيجة الحرب، ولا شيء يضمن استمرار تأييد بعضها له، لاسيما تلك التي لا تزال على تأيدها للرئيس الأسد وهي الأقل. كما أن أولئك الذين يعارضون الأسد هم في نهاية المطاف خصم استراتيجي ولأمد بعيد ضد حزب الله كما ضد سواه من الميليشيات خاصة تلك الأجنبية التي اقترفت ما اقترفت في حرب لا مبرر لها في دخولها أصلاً، وهو إرث كبير لن ينتهي حتى بزوال نظام الأسد، وسيعاني منه حزب الله وحلفاؤه لأمد طويل.

3. بخلاف ما كان عليه الوضع في مواجهة إسرائيل، يخوض حزب الله حربه في سوريا بلا حاضنة حقيقية ولا بيئة يمكن الجزم بأنها صديقة له، خاصة وأنه حزب عقائدي ديني يرتكز على "المذهب الشيعي الثاني عشرى"، لا بل بدرجة أخص على "ولاية الفقيه"؛ وهو ما يكاد لا يتيسر إلا أقل القليل منه في الديمغرافية السورية. كما أن لعبة التحالف مع الأقليات كما جرت في لبنان يصعب تطبيقها في سوريا لوجود أكتيرية حاسمة في هذا الأخير، فضلاً عن أن الأقليات السورية ليست واثقة من قدرة أي تغيير في الجغرافيا والديمغرافيا على حساب الأكتيرية من الصمود طويلاً فقد ينهار هذا التغيير تحت وطأة وقائع جديدة على الأرض، بل إن بعض تلك الأقليات ربما لا يرغب ابتداء بتعريف نفسه إلا وطنياً وليس مذهبياً أو عرقياً.

4. أي تقدير بأن حزب الله سيكسب في النظام اللبناني أو في الإقليم من خلال الانخراط العسكري في الحرب السورية غير مأمون العاّقب، فلبنان دولة هشة لم تتعاف تماماً من الحرب الأهلية ولا شيء يمكن من وقوعها في براثنها مرة أخرى بسبب سياسات الحزب أو بدفع من بعض الأطراف من أجل تغيير الواقع اللبناني أو لإشغال حزب الله بأرضه. كما أن الإقليم برمه غير مستقر ولا شيء يمكن انفجاره سواء مع إسرائيل أو على محاور طائفية أخرى وخاصة ما بين السنة والشيعة نتيجة تدهور الأوضاع، وبهذا إذا ما خرج الحزب من الحرب السورية قد تكون هناك حروب أخرى تنتظره وحينها لن يجني لبنان ثمار ما دفعه في سوريا.

التحولات الأخلاقية:

إن أكبر خسارة سياسية وأخلاقية قد يُمنى بها حزب الله هو خسارته للشرعية الشعبية في العالم العربي والإسلامي كحركة "مقاومة"، وقد دفع في بعض المراحل دماء ليؤكد عليها، ومن ذلك أنه وقف إلى جانب الفلسطينيين ضد حركة أمل (الشيعية) في حرب المخيمات (1985-1988)، وتحت شعارات الوحدة الإسلامية ووحدة "الحركة الإسلامية" و"الشعوب الإسلامية"، ليؤكد أنه مقاومة تتجاوز الحدود المذهبية. فضلاً عن عبره بنجاح للطوائف اللبنانية بعد أن أعاد صياغة خطابه الإعلامي السياسي، ليتلاءم مع دوره كمقاوم ضد الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان، وتجنب الخوض في الفساد الداخلي أو في الصراعات الداخلية السياسية ليأتي تحرير الجنوب عام 2000 تحت عنوان وطني، وأن حزب الله الإسلامي الشيعي،

حرر الجنوب اللبناني بناء على معايير الشراكة الوطنية ولا أهداف ولا امتيازات خاصة له جراء ذلك. واستطاع الحزب الاستفادة بكمية من الإرث الذي صاغته المقاومة الفلسطينية في لبنان والمنطقة، ليؤكد أنه جزء من هذه السلسلة المقاومة لإسرائيل، وأن شرعيته تبع من انتمائه لها والتزامه بها باعتبارها خيار الشعوب العربية والإسلامية جماعة، وساعدته على ذلك تمويل إيران في القضية الفلسطينية و اختيار قيادتها آخر جمعة من رمضان لتكون يوم الوحدة الإسلامية ويوم القدس العالمي، وهي الاستراتيجية التي مكنت حزب الله من حيازة الشرعية التي يحتاجها ليكون جزءاً من ثقافة هذه المنطقة قبل جغرافيتها، وجزءاً من مقاومتها "للالحتال الإسرائيلي" في المنطقة العربية.

ولكن مع الانخراط في الحرب السورية تغير جوهر هذه الشرعية، لتصبح المقاومة شأنًا طائفياً ولا يملك للحثّ عليها إلا الخطاب المذهبي من قبيل شعار "لن تُنسى زينب مرتين" وما إلى ذلك مما يتصل بتصورات تاريخية قائمة على صراع مذهبي، ولتنقل النزاعات إلى داخل العالم الإسلامي والعربي بعد أن كانت للدفاع عنه.

إن هذا التحول الذي طرأ على المحور الذي ينتمي إليه حزب الله وتقوده إيران رغم إصراره على "عنوان المقاومة"، أغرقه في أعمال قتل جماعية وتهجير سكاني واسع على أساس مذهبي في سوريا والعراق، وهو إرث على الصعيد الأخلاقي سيلازم حزب الله على الدوام لاسيما أنه في بيئه عربية يغلب عليها "الطابع السنوي". والأنكي أن حزب الله على شراكة مباشرة بالهدف السياسي الذي يحظى بالأولوية من هذه العملية في سوريا بالتحديد؛ حيث يقوم المحور الإيراني-السوري وفق أحد الاحتمالات المرجوة، بإعادة هندسة للديمغرافية السورية ليربط بين "الدولة المفيدة" التي سيغلب عليها الطابع العلوي كما هو مفترض، بقرى وبلدات شيعية محصنة على الحدود اللبنانية، ما يتطلب تهجيراً سكانياً ما لتجسيم الفجوة ما بين الإقليمين الجغرافيين.

وقد أخذ يترتب على هذا التحول الإقليمي عملياً تحولٌ محلي ليس أقل خطورة، ويرضا من حزب الله أو باستسلام منه لمسار أطلقه ولا يملك إيقافه، ألا وهو إعادة تعريف الشيعة في لبنان بوصفهم "أقلية" كبقية الأقليات وليسوا جزءاً من أكثريّة المنطقة "المسلمة"، وبالتالي الاكتفاء ببناء "شيعية سياسية"(17) غالبة أو نافذة في لبنان بما يمتعها تلقائياً بحق رعاية كل شيعة المنطقة، لاسيما أن المجتمع الدولي أرسى واقعياً -منذ نشأة الكيان اللبناني- في الحسابات الطائفية اللبنانية حق تخصيص الأقليات بامتيازات إقليمية خوفاً من "طغيان الأكثريّة". ووفق هذا الوصف، سيكسب حزب الله -من جهة- عدوم "الجمهور الشيعي" لأن الضامن لأمنهم في مواجهة "الأكثريّة السنوية" بالمنطقة بل وربما أيضاً الطوائف الأخرى من غير الأكثريّة(18)، وسيستفيد من جهة أخرى من هذا التعريف الجديد لمصلحة دور "أقلوي" إقليمي يقوم به هو في المنطقة، ويمكن مثلاً فهم زيارة الشخصيتين العراقيتين المهمتين: مقتدى الصدر ونور الدين المالكي للبنان في هذا السياق، بغض النظر عن السيارات الأخرى، من أجل المصالح برعاية من نصر الله الذي يستطيع بهذا المنطق العناية بشيعة الإقليم لحفظ وجودهم(19)، وهو الدور الذي لعبته "المارونية السياسية" عبر "الكتائب" و"القوى اللبنانية" في مراحل متعددة تاريخياً، بداعي مسؤوليتها عن مسيحيي المشرق وباعتراف ضمني من الغرب.

وفي الختام:

إن ما حققه حزب الله من تدخله في الحرب السورية إلى جانب المحور الإيراني من انتصارات عسكرية جزئية قد تقابله هزائم أخرى فضلاً عن عدم قدرته على تحمل نزيف الخسائر بالأرواح، أمّا على المستوى الاستراتيجي فقد دخل في حرب مع الأكثريّة في المنطقة وبشعارات مذهبية ليخسر موقعه كإحدى "الحركات المقاومة"، فضلاً عن أن استمرار هيمنته على القرار اللبناني لا أفق لها، ما يضعه في مواجهة دائمة مع بقية اللبنانيين محلياً، ومع الأكثريّة "السنوية" في الإقليم، وهذا عبء ثقيل

ليتحمله.

مراجع:

(1) نظر مقابلة أمين عام حزب الله حسن نصر الله، تليفزيون المغار، برنامج بين قوسين، 24 أكتوبر/تشرين الأول 2011، نقلًا عن الرابط أدناه:

<https://www.youtube.com/watch?v=iAKGyV6jtXQ>

تاريخ الدخول: 14 يناير/كانون الثاني 2016.

(2) نفس المصدر السابق.

(3) حتى إن علاقة حزب الله ساءت مع حركة حماس على خلفية الموقف من سوريا على وجه التحديد، حيث رفضت الأخيرة تأييد الأسد وأعلنت عن تأييدها خيارات الشعوب، وإن كانت حربيصة على عدم التدخل في الشؤون العربية الداخلية.

(4) انظر كلمة أمين عام حزب الله حسن نصر الله، حيث قال: "إن الثورة في البحرين سلمية" وـ"تواجهاً بالعنف"، والرئيس السوري "يصدر عفوين" عن الفوار في مقابل "العنف"، تليفزيون المغار، 24 يونيو/حزيران 2011، نقلًا عن الرابط أدناه:

<https://www.youtube.com/watch?v=HmrnP5OHUmo>

تاريخ الدخول: 14 يناير/كانون الثاني 2016.

(5) إن الحديث عن محاولة أميركا "ركوب الموجة" كان شائعاً في تلك الفترة وكان مبنياً على سوء ظن بها من قبل خصومها كالمسلمين، وعلى تقديرات من قبل محللين وإعلاميين نتيجة قراءة الموقف الأميركي. وللتدليل على هذا الأمر تكفي الإشارة إلى بعض المصادر التي ورد فيها هذا التحليل أو التحذير.

انظر مثلاً: محمد كمال، الإخوان بين محللين، موقع إخوان أون لاين، 1 مارس/آذار 2011.

وأنظر: سميحة الصرابي، الصراع الأميركي-الإيراني على الثورات، النهار اللبناني، 5 مارس/آذار 2011.

يمكن الاطلاع على النصين نقلًا عن مركز الشرق العربي على الرابط أدناه:

<http://www.ashraqalarabi.org.uk/m-w/b-waha-1396.htm>

وانظر: زين العابدين الركابي، أميركا: صناعة الحدث أم ركوب موجته، صحيفة الشرق الأوسط، 30 إبريل/نيسان 2011.

<http://archive.aawsat.com/details.asp?section=15&article=619454&issueno=11840#.Vx8HPPnRiUk>

وتعتمد القاعدة هذا التحليل أيضاً، انظر على سبيل المثال مقالة "الثورات العربية وموسم الحصاد"، لجمال إبراهيم أشتيوي، المشهور بـ"كتيبة عطية الله الليبي". وكان حذر فيها من "الثورة المضادة"، ومن دعم واشنطن لها لتضييق الخناق على الثورات. قُتل عطية الله الليبي في أغسطس/آب 2011 بطائرة من غير طيار في وزيرستان، باكستان. يمكن الاطلاع على مقالته من خلال المنتديات المؤيدة للاقاعدة على الانترنت.

(6) كلمة نصر الله في 24 يونيو/حزيران 2011، وأشار إليها في مصدر سابق، انظر الرابط أدناه:

<https://www.youtube.com/watch?v=HmrnP5OHUmo>

تاريخ الدخول: 14 يناير/كانون الثاني 2016.

(7) كلمة حسن نصر الله 1 يونيو/حزيران 2011، في الذكرى 22 لرحيل الخميني، نقلًا عن الرابط أدناه:

<https://www.youtube.com/watch?v=i88IxyQ-6GA>

تاريخ الدخول: 14 يناير/كانون الثاني 2016.

(8) هناك كلمة لافتة لنصر الله ألقاها في "مؤتمر التجديد والاجتهد الفكرى عند الإمام الخامنئي" في 6 يونيو/حزيران 2011، تحدث فيها عن قدرة الخامنئي كمرجعية تحليلية وإدراكه لوضع المنطقة والوضع اللبناني أفضل من أهل المنطقة أنفسهم، وأن الثقة بالخامنئي هي التي أوصلت للنصر. وهي من المرات القليلة التي يصرّح فيه أمين عام حزب الله باتباعه لرؤية الخامنئي فيما يخص "المقاومة" بجنوب لبنان رغم أنه، أي نصر الله وحزبه، كان يملك رؤية وتقديرًا مختلفاً. وذلك في سياق حديثه عن الثورات العربية والوضع السوري لتأكيد أن الولي الفقيه يرى ما لا يراه عموم الناس. انظر الرابط أدناه:

https://www.youtube.com/watch?v=Yxkmwu0t_Bc

(9) يعتقد أن حزب الله شارك في عمليات عسكرية بمنطقة عدّة قبل الإعلان عن معركة القصير، منها في دمشق "بزعم الدفاع عن... قبر السيدة زينب... واشتركوا في هجمات النظام في محافظة درعا وفي الغوطة الشرقية في ريف دمشق" انظر: جيفري وايت، إعلان حزب الله للحرب في سوريا: التداعيات العسكرية، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 29 مايو/أيار 2013.

<http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/hezbollahs-declaration-of-war-in-syria-military-implications>

(10) في موقف نادر للبلوماسية اللبنانية رفض وزير الخارجية اللبناني، جبران باسيل، إدانة "الاعتداءات" على مقار الدبلوماسية السعودية في إيران، ولمرتين: الأولى في الاجتماع الوزاري العربي في القاهرة، والثانية: في اجتماع منظمة التعاون الإسلامي في جدة؛ ما تسبب بغضب سعودي لم تنجلي تداعياته حتى اللحظة.

(11) العبارة للدكتور بشير نافع، انظر: علي الظفيري، مستقبل حزب الله، برنامج في العمق، قناة الجزيرة، 21 يونيو/حزيران 2013،
<http://www.aljazeera.net/programs/in-depth/2013/6/21/%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84-%D8%AD%D8%B2%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87>
تاریخ الدخول 12 ابریل/نیسان 2016.

(12) انظر: إبراهيم درويش، إدارة أوباما تخشى من انتقال المعركة للبنان وطلبت من الحزب عدم ملاحقة مقاتلي حزب الله إلى أراضيه، القدس العربي، 23 مايو/أيار 2013.

تاریخ الدخول 24 ابریل/نیسان 2014.
<http://www.alquds.co.uk/?p=47056>

(13) انظر: شفيق شقيان، تغيرات لبنان: تداعيات لازمة السورية أم بوادر حرب أمينة؟، 3 أكتوبر/تشرين الأول 2013.
<http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2013/10/201310174929157964.html>
تاریخ الدخول 24 ابریل/نیسان 2014.

(14) بحسب الكاتب في جريدة النهار اللبنانية، غسان الحجار، فإن فكرة المثالثة قديمة إيرانياً، محتجًا بما جاء في صحيفة "كيهان" الإيرانية المقربة من آية الله السيد علي خامنئي في 8 نوفمبر/تشرين الثاني 2006: "في ظل النظام الاستراتيجي الجديد الذي يربز في الشرق الأوسط، صار واجبًا أن يكون للشيعة في لبنان، وليس للشيعة اللبنانيين، أكبر حصة في المؤسسات الحكومية والرسمية، علينا أن نرى ونتابع كيف تتطور الأمور... وأول ما يجب تغييره هو اتفاق الطائف". وبحسب المقال نفسه: "إن الشيعة يمثلون اليوم 40 في المئة من السكان اللبنانيين ويشغلون 40 في المئة من الأرض اللبنانية، وهو المجموعة الأكثر وحدة وتوحدًا فيه، وصارت قوتهم العسكرية الأقوى في تلك المنطقة من العالم العربي، لذلك يجب أن يكون لهم التمثيل الأكبر والأوسع في الحكومة وفي البرلمان وفي كل المؤسسات اللبنانية". انظر: غسان حجار، المثالثة مطلب شيعي قديم، النهار اللبنانية، 10 يونيو/حزيران 2014،
<http://newspaper.annahar.com/article/140282-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AB%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A9-%D9%85%D8%B7%D9%84%D8%A8-%D8%B4%D9%8A%D8%B9%D9%8A-%D9%82%D8%AF%D9%8A%D9%85>
تاریخ الدخول 25 إبریل/نیسان 2015.

(15) انظر: علي آفونه، "قتلى حزب الله في الحرب السورية"، معهد واشنطن، 22 فبراير/شباط 2016.
<http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/hezbollah-fatalities-in-the-syrian-war>
وانظر الصفحة الأولى من جريدة السفير (29 يناير/تشرين الثاني 2016) التي أوردت مقالة بين يدي كلمة كان سيلقيها نصر الله على أنصاره حينها، واعترفت بأن حزب الله "قدم نحو ألف شهيد وآلاف الجرحى والمعوقين في معركة، بضم الحزب بأنها سُتشكّل حجر زاوية إعادة تشكيل خريطة التوازنات في المنطقة".
<http://mobile.assafir.com/Article/470862/ref=Hyperlink>
تاریخ الدخول 24 ابریل/نیسان 2016.

(17) انظر عن "الشيعية السياسية" في سياق حرب حزب الله في سوريا: شفيق شقير، حدود لبنان تحت المطرقة السورية: تداعيات ومخاطر، 16 أكتوبر/تشرين الأول 2014.

18) أجرت جمعية "بيا بنا" وهي معارضة لحزب الله، استطلاعاً للرأي داخل الطائفة الشيعية في لبنان، وجاء في بعض نتائجه أن 78.7% من المستطلعين الشيعة يؤيدون تدخل "حزب الله" في سوريا، أمّا تبرير مُعدي الاستطلاع لهذه النسبة فهو "أن الشيعة خائفون". انظر صحيفة النهار، 78.7% في المئة من الطائفة الشيعية مع التدخل في سوريا لكنهم خائفون، 14 يوليو/تموز 2015، تاريخ الدخول 24 إبريل/نيسان 2016 .
<http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2014/10/2014101684155185597.html>

تاریخ الدخول 24 ابریل/نیسان 2016.

(١٩) انظر الفيس الكويتية، المالكي يلتحق بالصدر إلى بيروت للتصالح عند نصر الله، ١٤ إبريل/نيسان ٢٠١٦، <http://alqabas.com/15202>.

مركز الجزيرة للدراسات

المصادر: